تبديل الحياة بالموت لان ظاهر الحياة لولا مباشرة قتله واما بيان الضرورة
فهو نوع بيان يقع بغير ما وضع له لضرورة ما اذ الموضوع له النطق وهذا
يقع بالسكوت فهي على اربعة اوجه عرف ذلك بالاستقراء الاول ما يعلم بمعونة
المنطوق لا بمجرد السكوت كقوله تعالى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه
الثلث اضيف الارث اليهما ثم خص الام بالثلث فكان بيانا بان للاب
ما بقي وهذا البيان لم يحصل بمحض السكوت عن نصيب الاب بل بصدر
الكلام الموجب للشركة اذ لو بين حد نصيب الام من غير اثبات الشركة
بصدر الكلام لا يعرف نصيب الاب بالسكوت بوجه والثاني ما يثبت بدلالة
حال المتكلم والمراد بالمتكلم القادر على التكلم لا الناطق واحترز به عن
لا يقدر على التكلم كالاخرس والثالث ما يثبت ضرورة دفع الضرر مثل
سكوت الشفيع بعد العلم بالبيع فجعل اسقاطا للشفعة ضرورة دفع
الضرر عن المشتري والرابع ما يثبت بدلالة الكلام كما لو قال له علي مائة
وثلثة دراهم او ثلثة اثواب او افراس فالمعطوف بيان المعطوف عليه
ولا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة واما تاخيره عن وقت الخطاب
فهو جائز والبيان ما يتعلق باللفظ والتبيان ما يتعلق بالمعنى البلاغة
مصدر بلغ الرجل بضم اللام اذا صار بليغا واسد عبارات الادباء
في حد البلاغة واوفاها بالغرض قولهم البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح
بما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصود ولا انتقاص عنه في البيان
فعلى هذا كلما ازداد الكلام من المطابقة للمعنى وشرف الالفاظ ورونق
المعاني والتجنب عن الركيك المستغث كان بلاغته ازيد في الجوهري البلاغة
الفصاحة وعند اهل المعاني البلاغة اخص من الفصاحة قال بعض الفضلاء
انهما وان اتحدتا لغة لكنهما اختلفتا اصطلاحا وتعددتا فاطلق
الفصاحة على ثلثة معان لا يمكن جمعها في حد واحد والبلاغة على معنيين
كذلك والفصاحة كما تنقسم الى اللفظية والمعنوية كما ذكر في المفتاح توصف
المفرد ايضا بالفصاحة المعنوية لان المجاز والكناية يوجدان في المفرد فان
لفظ العصر اذا اريد به الخمر مجاز ولفظ الضحك اذا اريد به السرور كناية
والفصاحة متقدمة على البلاغة لانها جزء لها ثم حقها التقدم نظرا
الى التقدم الطبعي لكنه انما قدم علم المعاني الذي هو البلاغة على البيان الذي
هو الفصاحة نظرا الى التقدم بالشرف اذ ما من كلام الا وفيه مزايا كثيرة
من مزايا علم المعاني بخلاف علم البيان وقال بعض محققي علم المعاني لم ار
ما يصلح لتعريفهما لكن الفرق بينهما ان الفصاحة يوصف بها المفرد

والكلام

والكلام والمتكلم والبلاغة يوصف بها الاخيران فقط يقال كلمة فصيحة
ولا يقال كلمة بليغة اما فصاحة المفرد فخلوصه من تنافر الحروف كمستشزر
ومن الغرابة وهي كون الكلمة لا يعرف معناها الا بعد البحث الكثير عليه في الكتب
اللغة ومن مخالفة القياس كاجلل بفك الادغام ولم يرتض بعضهم زيادة ان لا
يكون الكلمة مستكرهة في السمع نحو الجرشى اي النفس واما فصاحة
الكلام فخلوصه من ضعف التاليف نحو ان يتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول
المتاخر ومثله مما لا يجوز في العربية الا لضعف ومن التنافر بان يعسر
النطق بكلماته لعسرها على اللسان ومن التعقيد بان يكون الكلام غير
ظاهر الدلالة على المراد منه وذلك اما التعقيد في اللفظ او المعنى وزاد
بعضهم زيادة خلوصه من كثرة التكرار وتتابع الاضافات واما فصاحة
المتكلم فملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح واما بلاغة
الكلام فمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال ان يعبر
بالتنكير في محله وبالتعريف في محله وما اشبه ذلك وبالجملة
ان يطابق الغرض المقصود وارتفاع شان الكلام انما يكون بهذه
المطابقة وانحطاطه بعدمها واما بلاغة المتكلم فملكة يقتدر بها
على تاليف كلام بليغ واختلف في رتبة البلاغة هل هي متناهية ام لا
والحق انها اذا نظر الى اللغات الواقعة المتناهية فمراتب البلاغة فيها
لا بد وان يكون متناهية لان البلاغة على ما ذكرنا عائدة الى مطابقة
الشريف من الالفاظ الصحيح من المعاني من غير زيادة في المقصود ولا انتقاص
عنه في البيان ولا يخفى ان الالفاظ الشريفة باصطلاح المطابقة
لمعانيها متناهية فكانت مراتب البلاغة المترتبة على الالفاظ الواقعة
متناهية واما اذا نظر الى ما يمكن وقوعه من اللغات بعد اللغات
الواقعة المفروضة فلا يبعد في علم الله وجود الفاظ هي اشرف من الالفاظ
الواقعة ويكون مطابقتها لمعانيها اعلى رتبة في البلاغة من الالفاظ
الواقعة وهلم جرا الى ما لا يتناهى ورجحان بلاغة النظم الجليل انما هو
بابلاغ المعنى الجليل المستوعب الى النفس باللفظ الوجيز وربما يكون
الاسهاب ابلغ في كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبة العالية
من البلاغة وللبلاغة عرض عريض فاذا بلغت الغاية يعبر عنها بالسحر
فانه امر خارق وعلوم البلاغة المعاني والبيان ومتممتهما اعني البديع
وهي مشتركة في كونها معرفة قوانين بها يحترز عن الخطأ اذ يحترز بالمعاني
عنه في افادة الكلام معناه على ما يقتضيه الحال وبعلم البيان عنه في تادية

King Saud University
Copyright © King Saud University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)